

التحرير والتنوير

وللحكماء والشعراء أقوال كثيرة في الثقلاء طفحت بها كتب أدب الأخلاق ومعاملة الناس النبي A بهذا الخلق أشد بعدا عن الأدب لأن للنبي A أوقاتا لا تخلو ساعة منها عن الاشتغال بصلاح الأمة ويجب أن لا يشغل أحد أوقاته إلا بأذنه ولذلك قال تعالى (إلا أن يأذن لكم) . والأمر في قوله (فأدخلوا) للنذب لأن إجابة الدعوة إلى الوليمة سنة وتقيد النهي بقوله (غير ناظرين إناه) للتنزيه لأن الحضور قبل تهيؤ الطعام غير مقتضى للدعوة ولا يتضمنه الإذن فهو تطفل .

والأمر في قوله (فانتشروا) للوجوب لأن دخول المنزل بغير إذن حرام وإنما جاز بمقتضى الدعوة للأكل فهو إذن مقيد المعنى بالغرض المأذون لأجله فإذا انقضى السبب المبيح للدخول عاد تحريم الدخول إلى أصله إلا أنه نظري قد يغفل عنه لأن أصله مأذون فيه والمأذون فيه شرعا لا يتقيد بالسلامة إلا إذا تجاوز الحد المعروف تجاوزا بينا . وعطف (ولا مستأنسين لحديث) راجع إلى هذا الأمر بقوله (فانتشروا) فلذلك ذكر عقبه فإن استدامة المكث في معنى الدخول فذكر بإثارة وحصل تفنن في الكلام .

وفي هذه الآية دليل على أن طعام الوليمة وطعام الضيافة ملك للمتضيف وليس ملكا للمدعوين ولا للأضياف لأنهم إنما أذن لهم في الأكل منه خاصة ولم يملكوه فلذلك لا يجوز لأحد رفع شيء من ذلك الطعام معه .

ودفع للتحذير ابتدائي استئناف (منكم فيستحيي النبي يؤدي كان ذلكم إن) وجملة A E الاغترار بسكوت النبي A أن يحسبوه رضي بما فعلوا . فمناط التحذير قوله (ذلكم كان يؤدي النبي) فإن أذى النبي A مقرر في نفوسهم أنه عمل مذموم لأن النبي عليه الصلاة والسلام أعز خلق في نفوس المؤمنين وذلك يقتضي التحرز مما يؤديه أدنى أذى . ومناط دفع الاغترار قوله (فيستحيي منكم) فإن السكوت قد يظنه الناس رضى وإذنا وربما تطرق إلى أذهان بعضهم أن جلوسهم لو كان محظورا لما سكت عليه النبي A فأرشد إلى أن السكوت الناشئ عن سبب هو سكوت لا دلالة له على الرضى وأنه إنما سكت حياء من مباشرتهم بالإخراج فهو استحياء خاص من عمل خاص . وإنما كان ذلك مؤذيا للنبي A لأن فيه ما يحول بينه وبين التفرغ لشؤون النبوة من تلقي الوحي أو العبادة أو تدبير أمر الأمة أو التأخر عن الجلوس في مجلسه لنفع المسلمين ولشؤون ذاته وبينه وأهله . واقتران الخبر بحرف (إن) للاهتمام به . ولك أن تجعله من تنزيل غير المتردد لأن حال النفر الذين أطالوا الجلوس والحديث في بيت النبي E وعدم شعورهم بكراهيته ذلك منهم حين دخل البيت فلما خرج فغفلوا عما في خروج النبي

فخوطبوا فيه مأذونا ذلك يظن من حالة تلك . بقاءهم كراهيته إلى إشارة من البيت من A بهذا الخطاب تشديدا في التحذير واستفاقة من التغيرير . وإقحام فعل (كان) لإفادة تحقيق الخبر . وصيغ (يؤدي) بصيغة المضارع دون اسم الفاعل لقصد إفادة أذى متكرر والتكرير كناية عن الشدة .

والأذى : ما يكدر مفعوله ويسيء من قول أو فعل . وتقدم في قوله تعالى (لن يضروكم ألا أذى) في آل عمران وهو مراتب متفاوتة في أنواعه . والتفريع في قوله (فيستحيي منكم) تفريع على مقدر دلت عليه القصة . والتقدير : فيهم بإخراجكم فيستحيي منكم إذ ليس الاستحياء مفرعا على الإيذاء ولا هو من لوازمه .

ودخول (من) المتعلقة ب (يستحيي) على ضمير المخاطبين على تقدير مضاف أي يستحيي من إعلامكم بأنه يؤديه .

وتعدية المشتقات من مادة الحياء إلى الذوات شائع يساوي الحقيقة لأن الاستحياء يختلف باختلاف الذوات فقولك : أردت أن أفعل كذا فاستحييت من فلان يجوز أن تكون الحقيقة هي التعليق بذات فلان وأن تكون هي التعليق بالأحوال الملازمة له التي هي سبب الاستحياء لأجل ملابتها له . ولك أن تقول : استحييت أن أفعل كذا بمرأى فلان . وعلى التقدير الأول تكون (من) للتعليل وعلى التقدير الثاني تكون (من) للابتداء . وظاهر كلام الكشاف يقتضي أن : استحييت من فلان مجاز أو توسع وأن : استحييت من فعل كذا لأجل فلان هو الحقيقة . وظاهر كلام صاحب الكشف عكس ذلك والأمر هين .

وصيغ فعل (يستحيي) بصيغة المضارع لأنه مفرع على (يؤدي النبي) ليدل على ما دل عليه المفرع هو عليه